

فى هذه الأبيات يتألم المتنبي لحسد الحساد؛ ويستعدى عليهم سيف
الدولة الطيبة بالشاعر؛ مؤازرة المدوح للشاعر فى هذه المعركة تجعله يضرب
بسيف صارم.. يقطع الهام.. مغمدا!! (ولنلاحظ أن مغمدا) هنا لا تستمد
جمالها من موسيقية القافية، بقدر ما تشعه (المفارقة) هنا من هذه المفردة
الموحية يرجو الشاعر أميره أن يكبت هؤلاء الحساد .. ولا يكبت هو مشاعره
إزاءهم ولا يقلل من غلواء طموحه. فهاهو يفخر بشعره ويعتد بفنه. أنه يعرف
لنفسه قدرها.. بل يتجاوز ذلك إلى السخرية من حساده المتشاعرين فيطلب
إلى الأمير أن يجزل له فى العطاء إذا انشدوه. هم . شعرهم .. إنهم ليسوا
سوى أصداء له.. ثم يؤكد الشاعر فى هذه الأبيات على صلته المصيرية
بأميره العربى.. وأن أماله فيه غير محدودة... وفى صورة مكثفة وجميلة يؤكد
على ثقته بكرمه :

.....

وأنعلت أفراسى بنعماك عسجدا

ثم يرد العلاقة بينهما إلى هذا الشعور الخالص بالمحبة التى قيدته إليه
وأحكمت عرى الصداقة بينهما.

أنها – كما أسلفنا – هموم ذات قلقة مضطربة. ولا تخلو قصيدة من
قصائد المتنبي من هيمنة هذه الذات. بل إن سطوتها، كلما أثقلت السنوات
عمره بالتجارب؛ كانت تطرد وتستحيل إلى شجن عذب. وهى إذا كانت فى
(السيفيات) يغلب عليها التمرد والطموح والندية والتحدى، فإنها
فى(الكافوريات) تصطبغ بالنظرة الثاقبة إلى الحياة والحكمة المتأنية الدقيقة.
وهى إذا كانت فى (سيفياته) تعزف إيقاعها المدوى وتشحن لفظا وجملا
حاددة مدببة؛ فهى فى (كافورياته) تحفل بالصفاء النفسى وتكتسى عذوبة
الألفاظ وموسيقية الشجن. وأيا كان حالها فإن لها الحضور الأول إذ يصعب
على مثل المتنبي أن يفنى ذاته فى ممدوحه أو يتلاشى أمامه – كما يفعل
المادحون – حتى ولو كانت علاقته بسيف الدولة الأمير والنمذج الربى الذى
أعجب به وأحبه.. إنه لا يرضى إلا بعلاقة متكافئة.. ولا غرو فى ذلك.. أليس